

روح المعاني

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري عن ابن جريج قال : بلغني أن إلهي تعالى لما خلق السموات والأرض والجبال قال : إني فارض فريضة وخالق جنة ونارا وثوابا لمن أطاعني وعقابا لمن عصاني فقالت السموات خلقتني فسخرت في الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح فأنا مسخرة على ما خلقتني لا أتحمل فريضة ولا أبغي ثوابا ولا عقابا ونحو ذلك قالت الأرض والجبال ويعلم مما ذكر أن الأبناء لم يكن معصية لأنه لم يكن هناك تكليف بل تخيير وأما كونها أستحقرت أنفسها عن أن تكون محل الأمانة فلا ينفي عنهن العصيان بالأبناء لو كان هناك تكليف بالحمل وقيل : لا حذف والكلام من باب التمثيل على ما سمعت أولا .

وذهب كثير إلى أن المراد بحملها إلتزام القيام بها وبالإنسان آدم عليه السلام وأختلف في حمله إياها هل كان بعد عرضها عليه أو بدونه ف قيل كان بعد العرض .

فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم أن إلهي تعالى عرض الأمانة على السماء الدنيا فأبت ثم التي تليها فأبت حتى فرغ منها ثم الأرضين ثم الجبال ثم عرضها على آدم عليه السلام فقال نعم بين أذني وعاتقي الخبر وقيل : بدونه .

قال ابن الجوزي : لما خلق إلهي عز وجل آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح مثلث له الأمانة بصخرة ثم قال : للسموات أحملني هذه فأبت وقالت : إلهي لا طاقة لي بها وقال سبحانه : للأرض أحملها فقالت : لا طاقة لي بها وقال تعالى للجبال : أحملها فقالت : لا طاقة لي بها فأقبل آدم عليه السلام فحركها بيده وقال لو شئت لحملتها فحملها حتى بلغت حقويه ثم وضعها على عاتقه فلما أهوى ليضعها نودي من جانب العزيا آدم مكانك لا تضعها فهذه الأمانة قد بقيت في عنقك وعنق أولادك إلى يوم القيامة ولكم عليها ثواب في حملها وعقاب في تركها وهذا ظاهر في أن الحمل على حقيقته وفي أن العرض على السموات والأرض والجبال كان بمسمع من آدم عليه السلام وإلى هذا ذهب ابن الأنباري وفي بعض الآثار ما يدل على أن العرض عليهن قبل خلقه عليه السلام .

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : لما خلق إلهي تعالى السموات والأرض عرض عليهن الأمانة فلم يقبلنها فلما خلق آدم عليه السلام عرضها عليه فقال : يارب وما هي قال سبحانه : هي إن أحسنت أجرتك وإن أسأت عذبتك قال : فقد تحملت يارب فما كان بين أن تحملها إلى أن أخرج إلا قدر ما بين الظهر والعصر وكأني بك تختار من هذه الأقوال أن العرض على تقدير كونه بعد إعطاء الفهم والتمييز كان بمسمع من آدم عليه السلام وأنه بعد أن سمع الأبناء حملته الغيرة على الحمل وربما يفضي بك هذا إلى إختيار القول بأنه حمل الأمانة بدون

عرضها عليه كما هو ظاهر الآية وبه يتأكد وصفه بما وصف لكنني لا أظنك تقول بصحة حديث تمثل الأمانة بصخرة وإن قلت بصحة تمثل المعاني بصور الأجسام كما ورد في حديث ذبح الموت وغيره وأنا لا أميل إلى القول بأن المراد بالإنسان آدم عليه السلام وإن كان أول أفراد الجنس ومبدأ سلسلتها لمكان إنه كان ظلوما جهولا فإنه يبعد غاية البعد وصف صفى ا عزوجل بنص إن ا أصطفى آدم بمزيد الظلم والجهل وكون المعنى كان ظلوما جهولا بزعم الملائكة عليهم السلام قول بارد وحمله على معنى كان ظلوما لنفسه حيث حملها على ضعفه ما أبت الأجسام القوية حمله جهولا بقدر ما دخل فيه أو بعاقبة ما تحمل ولا يزيل البعد ولا أستسحن كون المراد كان من شأنه لو خلى ونفسه ذلك كما قيل :